من إعداد الدكتورة حسني هنية

المحاضرة السادسة

الانثربولوجيا الثقافية

تمهيد

تهتم الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة الإنسان في نطاق منظومته الثقافية ، إذ تعالج تباين و اختلاف سلوكه ونشاطه اليومي بتباين الظروف الموضوعية المحددة لأدواره المتعددة في المجتمع ، و يتضح الاختلاف القائم بين كل من الانثروبولوجيا الطبيعية و الثقافية من حيث الموضوع و المعنى ، فإذا كان موضوع الأولى هو التركيب الجسدي للإنسان وما مر عليه من تطورات ،فإن موضوع الانثروبولوجيا الثقافية هو الثقافة ، حيث تتحدد عناصر ماهية هذا الموضوع فيما يلي :

1- الرموز الاجتماعية ذات الدلالة الهامة في حياة أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات ، ويعد الفولكلور أحد عناصرها الأساسية .
2- الفعل الاجتماعي المستخلص و المأخوذ من السلوك الجمعي ، حيث تصبح العادات و التقاليد مصاحبة لكل سلوك جمعي مما ينجم عنه فعل اجتماعي .
3- الجوانب الروحية للإنسان مثل : الدين ، المعتقدات ، السحر .
4- الأدب و الفن و الفلسفة و الشعر.
5- الجوانب المادية المرتبطة بتعامل الإنسان مع البيئة .

مفهوم الانثربولوجيا الثقافية

و هكذا يتحدد معنى الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة ثقافة الإنسان و تمايزها ، و الطرق التي يستجيب بها الإنسان إلى ذلك التمايز ، و العناصر التي تشكل الثقافة و العوامل التي تعمل على انتشارها من مجتمع إلى آخر ، و انتقالها من جيل إلى جيل في المجتمع الواحد

وبالتالي يمكن اعتبار الثقافة بالمعنى المبسط لهذا المفهوم : هو طريقة معيشة مجتمع ما،سواء أكان ذلك المجتمع بدائي أو متخلف أو نامي أو متقدم.

و مفهوم الثقافة هنا يرتدي معنى واسعا إذ أنه يشمل النتاج الفني والأدبي والعادات والتقاليد الشعبية، وطرق التعبير وأنظمة الرموز والقيم، والأساطير والطقوس وأنظمة التصنيف

كما لاحظنا فإن موضوع دراسة الأنثروبولوجية الثقافية هو الثقافة ولذلك ارتبطت نشأة هذا الفرع للأنثروبولوجية بظهور أول مفهوم واضح لاصطلاح الثقافة، وقد تم ذلك لأول مرة على يد العلامة الإنجليزي تايلور Tylor في عام 1871 في كتابه الشهير "الثقافة البدائية" « Culture primitive » وهو من رواد الاتجاه التطوري المشهورين وقد انتشر الاتجاه التطور قبل ظهور الأنثروبولوجية الاجتماعية في

بريطانيا والأنثروبولوجية الثقافية في أمريكا، وفي معظم العلوم الاجتماعية في ذلك الوقت بسبب تأثير نظرية "داروين" في التطور العضويوبالتطورية كونت الأنثروبولوجية أدواتها وأساليبها، خصوصا الأنثروبولوجية الثقافية

تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية بوجه عام - بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة . وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكاً يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلى . ّبقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدث بلغة قومه

ولدلك الأنثروبولوجيا الثقافية:هي ذلك العلم الذي يقوم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى ويهتم بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة.

تعريف الثقافة :

تتعدد تعاريف الثقافة ولكن على العموم يتفق العلماء على القول أن الثقافة تكتسب وتتعلم، وأنها تسمح للإنسان على التكيف في وسطه الطبيعي Milieu naturel وهي تتنوع كثيرا وتتجلى في المؤسسات Institution في الأشكال الفكرية والموضوعات المحسوسة (الأشياء المادية) وإن أحد أشهر تعاريف الثقافة وإن كان قديما، هو تعريف (إداورد تايلور) E.B.Tylor الذي عرف الثقافة بقوله :"هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفن، والأخلاق والقوانين والعادات وكل الأحكام الأخرى والعادات المكتسبة من طرف الإنسان أو الفرد باعتباره عضوا في المجتع.

هذا المدلول العلمي للثقافة لم يولد من فراغ على قلم "تايلور" بل وجد أصله من خلال تأثير خارجي، التأثير بالثقافة الألمانية « Kultur » ففي أعماله الأنثروبولوجية نجد "تايلور" قد تأثر ببعض الأنثروبولوجيين والمؤرخين الألمان المولعين "بالتاريخ العام"، لهذا فقد تأثر تايلور في استخدامه لكلمة ثقافة بالمؤرخ الإثنولوجي الألماني "كوستاف كلم" Gustav Klemm (1802-1877) وقد استوعب هذا الأخير كل ما كتب عن الثقافة فضمنها في كتابه "تاريخ الثقافة" 1843، وبذلك يدخل معنى جديد للثقافة، وربما بدون أن يوضح ذلك بدقة، فجاء "تايلور" فاستوحى مباشرة هذا المعنى و"كلم" بهذا يكون قد ساهم بشكل كبير في بلورة المفهوم الحديث للثقافة، ولكن يبقى الفصل لتايلور كونه أخذ المعنى الواضح لمدلول مصطلح الثقافة وإعطائه التفسير الأول الذي يبقى بحق أكثر موضوعية.

إن الثقافة ادن هي مجموع التعابير عن (وفي) المجتمع الإنساني
و حسب ما جاء في القاموس الفرنسي لعلم الاجتماع، تنطوي تحت هذه التعاريف الكثيرة الهامة للثقافة ثلاثة اتجاهات رئيسية منبثقة كلها عن الأنثروبولوجية.
الاتجاه الأول : يحدد مفهوم الثقافة في حصيلة من المعطيات ويمثله تعريف إدوارد تايلور.
الاتجاه الثاني: يحدد مفهوم الثقافة في أنماط من السلوكات ويمثل هذا التيار كوكبة من الأنثروبولوجيين الأمريكيين، أشهرهم فرانس بواس، إدوارد سابير، وكروبر، وكلوكهون وروث بينكث ورالف لنتون...الخ
الاتجاه الثالث: يحدد مفهوم الثقافة كبناء وكنمط، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه الأنثروبولوجي البريطاني رادكليف براون، والإنثرولوجي الفرنسي ليفي شتراوس.

نخلص من هذا إلى القول أن الثقافة اليوم قد تجاوز حدود الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية ليصل إلى بعد أكثر اتساعا وأكثر إنسانية وطريقة شاملة للحياة والكون.

الأسس البيولوجيــة للثقافــة :

إن امتلاك الإنسان للثقافة هي أهم ميزة يتميز بها عن بقية الأحياء، ولكن ما كان ذلك أن يتحقق لولا وجود ميزات بيولوجية جاءت الثقافة نتيجة لها.

الإنسان حيوان يشترك مع الأحياء الأخرى في أهم صفة تميزها عن الجماعات وهي صفة الحياة، ولكن يختلف عن معظم الأحياء الأخرى بأشياء ويلتقي معها بأشياء أخرى، فهو فقاري، ومن الفقاريات ما هو لبوني ومنها ما هو غير ذلك، أما الإنسان فهو من الحيوانات التي تتكاثر بالتناسل وله جهاز عصبي معقد كما أن له دماغ كبير.

إن إحدى مميزات الإنسان المهمة هي تطور دماغه بصورة توفر إمكانية للسلوك الثقافي، وإحدى الأشياء التي تجعل دماغ الإنسان جهازا ثوريا هي إمكانية الكلام، فالحيوانات الأخرى تستطيع الاستجابة إلى عدد محدود من الإشارات وفي بعض الحالات ، رموز Symboles ، ويمكن تعليم الشمبانزي بالتواصل لدرجة محدودة في أنظمة شبيهة باللغة، ومع ذلك فإن قشرة المخ عند الإنسان هي التي تملك أعظم قدرة على تنظيم الرموز في نظام فعال يمكنه أن يربط ذهنيا ويخلق تجارب وأفكارا

أهم ميزة للإنسان ساعدته على تكوين ثقافة له هي انتصاب القامة ولذا فإن يديه طليقتان ومعفيتان من حمل جسمه الذي يرتكز على الأرجل فقط، كذلك فإن يديه مركبتان بطريقة تساعده على التقاط الأشياء وعلى معالجة الأدوات أحسن من أي حيوان آخر. ويرجع الفضل في ذلك إلى إبهامه الذي هو مقابل لبقية الأصابع في اليد الواحدة.

و مع أن الإنسان حيوان (أي يتصف بالحياة) إلا أننا نكتفي بهذا القول وذلك لأنه يختلف عن أعضاء المملكة الحيوانية بإنسانيته وسلوكه ومقدرته على التكلم وعلى التفكير، كما أن له نظرا بؤريا لا تمتلكه معظم الأحياء الأخرى. والجهاز الصوتي عند الإنسان مركز بشكل يساعده على التكلم فالفك عند الإنسان أصغر من فك الحيوانات الأخرى وتركيبه يسمح للسان بالحركة الحرة بعكس فك الأحياء الأخرى، كذلك فإن ه**البنــاء النظام الاجتماعي والنمط الثقــافي :**

إلى جانب الاتجاه البنائي الذي يتبعه معظم الأنثروبولوجيين الاجتماعيين وعدد كبير من علماء الاجتماع الذين يقومون بأبحاثهم الحقلية في مجتمعات محلية محددة، يوجد تيار آخر قوي يجذب إليه عددا كبيرا من العلماء، ويوجههم نحو دراسة الثقافة، والأنماط الثقافية Patterns culturels بدلا من دراسة النظم الاجتماعية والبناء الاجتماعي، ويظهر هذا الاتجاه بين علماء الأنثروبولوجية الأمريكية بوجه خاص، بحيث تكاد الأنثروبولوجية في أمريكا تصطبغ بصبغة ثقافية خالصة لا يشذ عنها سوى فريق العلماء الذين خضعوا بشكل مباشر لتأثير تعاليم رادكليف براون كما تأثروا بكتابات دوركايم والمدرسة الفرنسية، فاتجهوا بذلك اتجاها بنائيا في أبحاثهم مع الاهتمام بالنواحي الثقافية بالقدر الذي يساعد على فهم البناء الاجتماعي فحست، وقد يكون من التعسف أن نحاول تقسيم العالم إلى مناطق محددة ونزعم أنه يسود في كل منها أحد الاتجاهين يوجدان جنبا إلى جنب في كل الدول التي تهتم بالأنثروبولوجية ولكن مع ميل واضح نحو واحد منهما، ويرتكز هذان الاتجاهان على التفرقة القديمة بين "المجتمع والثقافة" واختلاف العلماء حول تحديد موضوع الأنثروبولوجية وهل هو دراسة العلاقات الاجتماعية أو قواعد العرف والتقاليد،إذن كيف نفصل بين الإنسان كحيوان "اجتماعي" والإنسان ككائن "ثقافي" ؟

فالاختلاف إذن في تحديد موضوع الأنثروبولوجية هو السبب في ظهور هذه التفرقة بين المدخل الاجتماعي البنائي والمدخل الثقافي لدراسة المجتمع، وهكذا فإذا كان المجتمع مؤلف من أناس، فإن طريقة سلوكهم تمثل في ثقافتهم لذلك يجب عدم الخلط بين الثقافة والمجتمع، فالمجتمع يشير إلى مجموعة من البشر أو الأشخاص يتفاعلون مع بعضهم بعضا بدرجة أكبر من تفاعلهم مع أعضاء الجماعات الأخرى ويتعاونون واحدا مع الآخر لبلوغ غايات أو أهداف مشتركة، ونستطيع أن نخص أفراد المجتمع بصورة دقيقة، أما الثقافة فتشير إلى الأساليب المتميزة لحياة جماعة البشر

يقول "روبرت لوي" (ليست الثقافة بذاتها سوى فكرة مجردة أما الواقع فلا يعطي الوصف المناسب إلا من خلال الشخصيات التي تتفاعل مع المحيط الاجتماعي)

كما تكشف الثقافة عن بعض "الدلالات" التي تشير إلى "تدخل الإنسان" في تعديل الطبيعة أو تحويرها بإضافة "عناصر بشرية" على الوجود الطبيعي، وإدخال أشياء اجتماعية Choses sociales لم تكن موجودة في الطبيعة فكل "إضافة إنسانية" أو "إضافة اجتماعية" على الوجود الفيزيقي أو العالم الطبيعي هي "ثقافة، يقول "موريس جود لبير" (الكائنات البشرية على نقيض الحيوانات الأخرى لا تقع فقط بمجرد الحياة في علاقات، بل إنها تنتج "العلاقات" لكي تعيش وتبتكر على مدى وجودها سبلا جديدة للفعل والفكر لتفكر وتعمل سواء بالنسبة لبعضها البعض أو بالنسبة للطبيعة المحيطة بها ومن ثم فإن البشر ينتجون الثقافة ويخلقون التاريخ في دماغه قسما خاصا بالكلام ولولا وجوده لما استفاد الإنسان من جهازه الصوتي.

المراجع المستعملة

1- **مناصرية ميمونة، محاضرات في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016/2014**

2- **محمد بوراكي، محاضرات في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة محمد خيضر بسكرة،2009**

3- **الطاهر عزاز ، محاضرات في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية،، جامعة جيجل 2019**